دروس دعوية لابن قيم الجوزية
في الهجرة النبوية الشريفة

أ.م.د. قحطان محبوب فضيل

Invocational lessons in the prophet`s Hijra for Ibn – Qayyim Al- Jawziyya

Asst. prof. phd. Qahtan Mahboob Fadhel

The research talks about the life of Ibn- Al- Qayyim the scientific and invocational and gives the most important meanings of prophet`s Hijra of advice, victory of good over bad and following the prophet`s morals.

Leçons prédicatives dans la noble migration prophétique D'Ibin Qeiyim Al Jawzeya

P. ajoint. D. Qahtan Mahboub Fadil...

La recherche apporte sur une période de la vie scientifiques et prédicative d'Ibin Al Qeiyim, et mettre en évidence la signification de la migration prophétique par des leçons, des sermons à travers le triomphe du bien sur le mal et suivre le prophète – PSL- comme le noble exemple …

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للناس أجمعين خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ الدعوة الى الله تعالى وظيفة الانبياء والرسل وهي من اهم المهمات واوجب الواجبات، وقد اعتنى بها العلماء الذين هم ورثة الانبياء لما فيها من نشر وتبليغ لرسالات الرسل الى العالمين، ومن العلماء الذين افنوا اعمارهم، وكرسوا اوقاتهم في الدعوة الى الله تعالى بالتأليف، والتصنيف، والخطب، والمواعظ، والتدريس، الامام ابن القيم "رحمه الله"، وقد اعتنى بالسيرة النبوية الشريفة واحداثها في التدريس تارة، والاختصار تارة، والتعليق والتخريج تارة اخرى، لنستلهم منها ونقتدي بها، حيث امرنا الله (ﷻ) باتباع النبي (ﷺ) في أفعاله وأقواله، وتقريراته، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1]، ولأجل هذا الاقتداء في الدعوة إلى الله (ﷻ) يجب أن يكون هناك منهج وفقه دعوي لسيرة النبي (ﷺ) يفيد منه الدعاة في دعوتهم، وليتمكنوا من استخراج الدروس والفوائد الدعوية من السيرة النبوية التي قال الله (ﷻ): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[2].

ونظراً لأهمية الدعوة الى الله تعالى تأتي أهمية هذا الموضوع، حيث عَمدتُ إلى دراسة جانب دعوي لابن القيم الذي تناول فيه هجرة النبي (ﷺ) الى المدينة المنورة، ولأجل استقراء أهم الدروس الدعوية المستقاة منه، لذا جعلت

(١) سورة الحشر، جزء من الآية (٧).

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان (٤٥،٤٦).

دراستي هذه لنشر الدعوة الإسلامية، فإنَّ كل علم يُشرِّفُ بمتعلقه، وما يهدف إليه، وعلم الدعوة من أشرف العلوم، وذلك لتعلقه بالله (ﷻ)، وما يهدف إليه من إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن عبادة المخلوقات إلى عبادة رب الخلق سبحانه وتعالى.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج (الاستقرائي والاستنباطي)، وذلك بتتبع النصوص المتعلقة بالدروس الدعوية عند ابن القيم "رحمه الله" في ذكره للهجرة النبوية من مظانّها في كتب التاريخ والسير والحديث والدعوة، ثم تحليلها ومحاولة استنباط واستخراج الفوائد والدروس الدعوية عند ابن القيم "رحمه الله" من خلال استقرائي، وهذا أقرب المناهج لتناول موضوع الدعوة الاسلامية، وقد سرت فيه على المنهج الاتي:

١- قدمت مصدر (زاد المعاد) على باقي المصادر والمراجع في المتن والهامش، لأنه هو محل دراستي وبحثي.

٢- عزوت الآيات القرآنية الكريمة الى سورها، ورقم الآية من تلك السورة في الهامش، وحصرت الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين ﴿ ... ﴾ وبرسم المصحف المرقم.

٣- تخريج الأحاديث النبوية من مظانها، وإيراد أقوال العلماء فيها عند الحاجة، وحينما يكون الحديث في الصحيحين، أو أحدهما أكتفي بتخريجه منهما، أو أحدهما.

٤- تخريج الآثار، ونسبة الأقوال إلى مصادرها، وبينت الكلمات والمصطلحات الغريبة من مظانّها، وترجمت للأعلام غير المشهورين الذين وردت أسماؤهم في ثنايا البحث.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

المبحث الاول: نبذة عن حياة ابن قيم الجوزية "رحمه الله".

وفيه مطلبان:

المطلب الاول: نبذة عن سيرته الشخصية.

المطلب الثاني: أهم أعماله ونشاطاته الدعوية.

المبحث الثاني: حادثة الهجرة النبوية الشريفة عند ابن القيم .

وفيه مطلبان:

المطلب الاول: اسباب اختيار المدينة المنورة للهجرة.

المطلب الثاني: هجرته (ﷺ) للمدينة المنورة.

المبحث الثالث: الدروس الدعوية المستفادة من الهجرة النبوية الشريفة.

ثم جاءت الخاتمة بمجموعة من النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث، وحسبي ان اقول: اللهم هيئ لنا من امرنا رشدا واجعل لنا من كل ضيق مخرجا، وانا اسعى ببحثي جاهدا ابتغي الدعوة لهذا الدين بما اعطاني الله وبما مكني فيه عسى ان يتقبل مني هذا العمل، والله من وراء القصد وهو يهدي الى الحق والى صراط مستقيم.

الباحث

المبحث الاول

نبذة عن حياة ابن القيم "رحمه اللّه"

هناك عدة دراسات تناولت شخصية ابن القيم "رحمه الله"، وليس غرضنا هنا عرض سيرة هذا الامام والعالم الجليل، ولكن سنعطي خطوطاً عريضة عنه، ليتسنى لنا الدخول إلى أصل البحث، وتتلخص هذه النبذة من المطلبين الآتيين:

المطلب الاول: نبذة عن سيرته الشخصية.

المطلب الثاني: أهم أعماله ونشاطاته الدعوية.

المطلب الاول

نبذة عن سيرته الشخصية

وقد تناولت سيرة ابن القيم "رحمه الله" الشخصية من خلال ثلاثة نقاط، وهي على النحو الآتي:

أولاً: اسمُهُ وولادته وشهرته.

ثانياً: شيوخه وتلاميذه.

ثالثاً: وفاته.

أولاً: اسمُهُ وولادته وشهرته

١_ اسمُهُ:

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حَرِيز، الزُّرَعِي الأصل، ثم الدمشقي، الحنبلي[١]، وأما الزُّرَعِيُّ، فنسبة إلى قرية من حوران، كانت تسمى

(١) ينظر: الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط- وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، من دون طبعة، (بيروت/ ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ١٩٥/٢؛ والرد الوافر، لمحمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق: زهير الشتاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، (بيروت/ ١٣٩٣هـ)، ٨٤.

زماناً بـــ زرا او زرة، ثم سميت بـــ زُرَع من حوران[١]، والتي تدعى اليوم عند العوام بـــ (إِزْرَع)[٢]، فصار المنسوب إليها يقال له الزُّرَعِيُّ، واتفق كل من ذكر كنيته من مترجمـــيه على أنه أبو عبدالله، وذلك تكنية له باسم ولده عبدالله، وهو أصغر ولديه[٣]، واتفقت مصادر ترجمته على تلقيبه بـــ (شمس الدين)[٤].

٢_ ولادته:

ولد ابن القيم "رحمه الله" في اليوم السابع من شهر صفر لعام (٦٩١هـــ – ١٢٩٢م) في قرية زرع [٥]، والتي تقع اليوم في جنوب دمشق، وهي ضمن

(١) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـــ)، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الاولى، (القاهرة / ١٩٨٤م)، ٢٠٤/٥ ؛ ورجال الفكر والدعوة في الاسلام، لعلي أبو الحسن ابن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت:١٤٢٠ه)، دار القلم، الطبعة الاولى، (الكويت / ١٣٩٥هـــ/١٩٧٥م)، ٣١٦/٢.

(٢) إِزْرَع: هي قرية تقع في محافظة درعا، هي مركز منطقة إزرع، ومركز الناحية، تبعد عن درعا ٣٢ كم، وعن دمشق ٩٦ كم، كانت قديماً تسمَّى (زرافة) ثم (زرع) يبلغ عدد سكانها: (٣٢٢٦) نسمة، ولكن المؤكد عندنا: أنها في أيام ابن القَيِّم " رحمه الله " وإلى آخر حياته لم تكن تعرف إلا بـــ (زرع)؛ ينظر: معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:٦٢٦هـــ)، مطبعة دار صادر، الطبعة الثانية، (بيروت/١٩٩٥م)، ١٥١/٣.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، لابي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـــ)، تحقيق: علي شيري، الدار احياء التراث العربي، الطبعة الاولى، (بلا /١٤٠٨هـــ/١٩٨٨م)، ١٦١/١٣.

(٤) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده، للعلامة بكر بن عبدالله أبو زيد (ت:١٤٢٩هـــ)، دار العاصمة، الطبعة الثانية، (الرياض/ ١٤٢٣هـــ)، ٢٣.

(٥) ابن القيم من اثاره العلمية، لأحمد ماهر محمود البقري، دار النهضة العربية، من دون طبعة، (بيروت/١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م)، ٥.

محافظة درعا، وقد تقدم أنه منسوب إلى زرع أولاً، ثم دمشق ثانياً، وان كلا الأمرين محتمل، إذاً فمكان ولادته لا يخرج عن أحدهما(١).

٣_ شهرته:

شهرته "رحمه الله" بابن قَيِّم الجوزية فقد أجمعت على هـــــذه الشهرة كل المصادر التي ترجمت له، وبها عُرِف بين أهل العلم قديماً وحديثاً، وأما عن سبب هذه الشهرة وأصلها: فلأن والده كان قَيِّماً على المدرسة (الجوزية)(٢)، ومع أن وظيفة القِوامة في المدرسة الجوزية لم تكن حكراً على أبي بكر – والد ابن القَيِّم – وحده، بل لا بد أن يكون قد تولاها غيره – إما قبله أو بعده – إلا أن الواضح: أن والد ابن القَيِّم كان أشهر من تولى هذا المنصب، فصار هو المراد عندما يقال: قيم الجوزية، وغلبت – بالتالي – هذه الشهرة على ابنه، حتى صار لا يُعرف إلا بها، وقد يكون الأب اكتسب هذه الشهرة بسبب شهرة ابنه شمس الدين، الذي ذاع صيته آنذاك (٣).

والمشهور الآن بين أهل العلم وطلابه، وأكثر الناس قولهم: ابن القَيِّم بحذف المضاف إليه اختصاراً وجعل ال عوضاً عنه، وهذا الاختصار لا مانع منه ؛ فقد صار هو المقصود عند الإطلاق لشهرته(٤).

ثانياً: شيوخه وتلاميذه

١_ شيوخه:

إنّ من أهم العوامل التي تسهم بشكل كبير في التكوين العلمي للشخص هو

---

(١) ينظر: البداية والنهاية، ١٦١/١٣ ؛ ورجال الفكر والدعوة في الاسلام، ٣١٦/٢.

(٢) الجوزية: هي المدرسة التي أنشأها محي الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، وتقع هذه المدرسة بالبزورية المسمى قديماً سوق القمح، وقد اختلس جيرانها معظمها وبقي منها الآن بقية ثم صارت محكمة إلى سنة ١٣٧٢هـ ؛ ينظر: معجم البلدان، ١٦٣/٣.

(٣) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده، ٢٤.

(٤) رجال الفكر والدعوة في الاسلام، ٣١٧/٢ ؛ وابن القيم من اثاره العلمية، ٦.

شيوخه الذين تلقى عنهم، واستفاد علومه منهم، وقد أخذ العلم عن جملة كبيرة من أهل العلم والفضل، وسأذكر أهمهم وأبرزهم:

أ- والـــــده: أبو بكر بن أيوب، قَيِّم الجوزية، وقد تقدم أنه كان له في الفرائض اليد الطولى [١]، ولذلك فقد أخذها عنه ابن القيم "رحمه الله"[٢].

ب- شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة: هو تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن تيمية، الحرَّاني، ثم الدمشقي، الإمام، العالم، والفقيه، الحافظ، المفتي، شيخ الإسلام الذي أثنى عليه الموافق والمخالف، ولد سنة ٦٦١هـ، وشهرة الشيخ تغني عن الكلام عنه، وقد توفي سنة ٧٢٨هـ محبوساً بقلعة دمشق[٣].

ج- القاضي بدر الدين ابن جماعة: هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ابن حازم بن صخر بن عبد الله الكناني، الحموي الأصل، أبو عبد الله، ولد في ربيع الآخر سنة ٦٣٩هـ بحماة، وتوفي سنة ٧٣٣هـ بمصر[٤].

د- المزي: هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، القُضَاعي، ثم الكَلْبِي، الدمشقي، الشافعي، أبو الحجاج، جمال الدين، الإمام، العلامة، الحـــافظ، محـــدث الشـــام، ولـــد بحلب سنـــــة ٦٥٤هـ،

---

(١) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، (اباد- الهند/١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ١٢٥/٢.

(٢) المصدر نفسه، ١٢٥/٢ ؛ ورجال الفكر والدعوة في الاسلام، ٣١٧/٢.

(٣) ينظر: الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، لمرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (ت: ١٠٣٣هـ)، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤٠٤ه)، ٣٤.

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، من دون طبعة، (بيروت/١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ٢٥٩/٤.

وتوفي في صفر سنة ٧٤٢هـ [١]. وله شيوخ كثر لا يسع المقام لذكرهم.

٢_ تلاميذه:

إنّ أهم الثِّمَار التي تُجْنَى من جهد أولئك العلماء الجهابذة ؛ تخريج التلاميذ والطلاب الذين يحملون راية الخير والهداية لمن بعدهم، امتداداً لجهود شيوخهم ونشاطهم، وحلقةً في سلسلة متصلة متماسكة لا تنقطع[٢]، وسأذكر أهمهم وأبرزهم:

أ- السُّبكي: هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام، الأنصاري، الخزرجي، تقي الدين، أبو الحسن، ولد سنة ٦٨٣ه، وتوفي سنـــة ٧٥٦ هـــ[٣].

ب- الصَّفَدِي:هو خليل بن أَيْبَك بن عبد الله، الصَّفَدِي، صلاح الدين، العلامة، الأديب، البارع، ولد سنة ٦٩٦هـــ، وتوفي في شوال سنة ٧٦٤هـــ [٤].

ج- الحافظ ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْء بن كثير، القرشيُّ، البُصْرَويّ، الدمشقيُّ، عماد الدين، أبو الفداء، الإمام، الْمُحَدِّث، المُفَسِّر، الحافظ، البارع ولد سنة ٧٠١هـــ، وتوفي في شعبان سنة ٧٧٤هـــ[٥]،

---

(١) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـــ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، (دمشق-بيروت/١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م)، ٤٥٦/٧.

(٢) ينظر: داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب، لعبد العزيز شلبي سيد الأهل (ت: ١٤٠٢هـــ)، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، (بيروت- لبنان/١٩٨٦م)، ٦٩.

(٣) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـــ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، (الرياض/ ١٤٢٥هـــ/٢٠٠٥م)، ٢٢٥/٢.

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات، ٨٩/٢ ؛ ومن أعلام المجددين، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار المؤيد، الطبعة الأولى، (بلا/ ١٤٢١هـــ/٢٠٠١م)، ١٧.

(٥) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ١٢٧/٢.

وقال الحافظ ابن كثير "رحمه الله" في ترجمته لابن القَيم "رحمه الله":(وكنت من أصحب الناس له، وأحبِّ الناس إليه)[١].

د- ابن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن عبد الرحمن، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، زين الدين، أبو الفرج، ولد سنة ٧٣٦هـ في بغداد، وتوفي سنة ٧٩٥هـ [٢]... وله تلاميذ كثر ملأوا الدنيا علماً ومعرفة لا يسع المقام لذكرهم.

ثالثاً: وفاته

بعد هذه الحياة الحافلة بالجهاد المتصل لنشر منهج السلف، ومحاربة كثير من الانحرافات التي ابتدعها الخلف، وما لقيه من محن في سبيل ذلك، وبعد أن كَمُلَ له من العمر ستون سنة، توفي هذا الإمام العالم العلامة، وذلك في ليلة الخميس، ثالث عشر من شهر رجب، من سنة (٧٥١هـ) وقت أذان العشاء[٣].

وقد صُلِّيَ عليه "رحمه الله" من الغد عقب صلاة الظهر بالجامع الأموي، ثم بجامع جَرَّاح[٤].

ولأن ابن القيم "رحمه الله" كان قائماً لله بالحق، صادقاً في النصح للخلق فقد: (كانت جنازته حافلة رحمه الله، شهدها القضاة والأعيان والصالحون، من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه)[٥]، وقد دفن "رحمه الله" بمقبرة الباب الصغير من دمشق عند والديه [٦].

وقد رُؤِيَتْ له بعد موته منامات كثيرة حسنة (وكان هو "رحمه الله" قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين – ابن تيمية-"رحمه الله" في النوم، وسأله عن منزلته

---

(١) البداية والنهاية، ١٦٣/١٣.

(٢) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٤٥٨/٧.

(٣) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده، ٤٠٦.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، ١٠٦/١٤، ٧٠/٢.

(٥) ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده، ٤٠٧.

(٦) المرجع نفسه، ص٤٠٧ .

؟ فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة "رحمه الله")[١].

فَرَحِم الله ابن القَيِّم رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام وأهله خيراً، وأسكنه فسيح جناته، آمين.

المطلب الثاني

أهم أعماله ونشاطاته الدعوية

يمكننا حصر الأعمال التي مارسها ابن القيم "رحمه الله"، ونشاطاته الدعوية التي كان يشغلها في: التدريس والإمامة والخطابة والإفتاء والتأليف، وسأذكرها على النحو الآتي:

١- التدريس والتعليم:

إنّ انتشار المدارس في دمشق في عصر ابن القَيِّم "رحمه الله" وكثرتها، كان من أبرز مظاهر ازدهار الحركة العِلْمِيَّة آنذاك، وأنه كان يَتَقَلَّدُ وظيفة التدريس بهذه المدارس أكابرُ العلماء، فكانت المدارس بمثابة الجامعاتِ العِلْمِيَّةَ في وقتنا الحاضر، بل إنَّ نظام الدراسة في كثير من جامعاتنا اليوم يشبه إلى حدٍّ كبير نظام الدراسة قديماً، ومن المدارس التي عرفتها دمشق على عهد ابن قيم الجوزية "رحمه الله" هي:

أ- المدرسة الظاهرية: بناها الملك الظاهر بيبرس عام (٦٧٠هـ)[٢].

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٢٩١/٨.

(٢) الملك الظاهر: هو بيبرس بن عبد الله، السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحي، وولد الملك السلطان الظاهر بأرض القبجاق سنة خمس وعشرين وستمائة تقريباً؛ ينظر: فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، (بيروت/١٩٧٣م)، ٢٣٥/١.

ب- المدرسة الجوزية: بناها محيي الدين بن الشيخ جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، وكان والد ابن القيم "رحمه الله" قيماً عليها، ويتولى إمامة الصلاة فيها(١).

ج- المدرسة الصدرية: أنشأها صدر الدين بن منجا(٢).

ولَمَّا كان ابن القَيِّم "رحمه الله" واحداً من جهابذة علماء ذلك العصر وأئمته المُقَدَّمين؛ فإنه قد شارك بجهده وعلمه في هذا الجانب المهم، ألا وهو التدريس.

أما عن الأماكن التي درَّس بها، فقد أجمعت المصادر التي ذكرت ممارسته للتدريس على ذكر تدريسه بالمدرسة الصدرية، ويُحَدِّد الحافظ ابن كثير "رحمه الله" تاريخ تَوَلِّيهِ التدريس بهذه المدرسة، فيقول (وفي يوم الخميس سادس صفر – يعني سنة ٧٤٣هـ – درَّس بالصَّدْرِيَّةِ صاحبنا الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرَعِيّ)(٣).

٢- الإمامة:

إنّ وظيفة الإمامة لا يصلح لها كل أحد، بل لا بد أن يكون المتصدي لها عارفاً بالقراءة وأحكامها، مع أمور أخرى – في دينه وخُلقه – لابد من توافرها، ولقد كان ابن القَيِّم "رحمه الله" كما وصفه بذلك ابن كثير "رحمه الله" (حَسَن القراءة)(٤)، مع ما كان عليه من القراءة بالتدبر والتفكر، والعلم بمعاني ما يقرأ، والخشوع

(١) ينظر: الرد الوافر، ١٠٤ ؛ والدارس في تاريخ المدارس، لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ٢٣/٢.

(٢) صدر الدين بن منجا: هو أسعد بن المنجا بن بركات بن مؤمل التنوخي المصري ثم الدمشقي الحنبلي أحد المعدلين ذوي الأموال والمروآت والصدقات الدارة البارة وقف مدرسة للحنابلة قبره بها؛ ينظر: الوافي بالوفيات، ٢١٤/٧ ؛ والأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، (بلا/٢٠٠٢م)، ٢٣٦/٨.

(٣) البداية والنهاية، ٢٣٥/١٤.

(٤) البداية والنهاية، ٢٣٥/١٤.

والخضوع والتذلل والإنابة لله (ﷻ) على النحو الذي مضى وصفه، كل ذلك يجعله "رحمه الله" مؤهلاً غاية التأهل لشغل منصب الإمامة ؛ بل إن ذلك يجعله من أحق الناس بها(١).

وكان ابن القيم "رحمه الله" ملتزماً إمامة المدرسة الجوزية – التي كان أبوه قَيِّمَهَا– كما ذكر ذلك عنه جماعة، وكما قال عنه الذهبي "رحمه الله" في ترجمته:(... أبو عبد الله، الدمشقي، إمام الجوزية)(٢)، ويقول ابن كثير "رحمه الله" ايضاً: (...إمام الجوزية، وابن قَيِّمها)(٣)، ولا تُعْرَفُ مُدَّةُ إمامته بالجوزية، إلا أن ابن رجب "رحمه الله" يقول: (وقد أمَّ بالجوزية مدة طويلة)(٤).

٣- الخَطَابَة:

وإلى جانب التدريس والإمامة، فقد كان "رحمه الله" مشتغلاً بالخطابة، فقد ذكر الحافظ ابن كثير "رحمه الله" في أحداث سنة ٧٣٦ه أنه: (في سَلْخِ رجب أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه نجم الدين بن خليخان(٥)، تجاه باب كيسان من القبلة، وخطب فيه الشيخ الإمام العلامة شمس الدين ابن قَيِّم الجوزية)(٦)، ونقل ايضاً: (... انه أول من خطب به الإمام ابن القَيِّم)(٧)، وذلك في سنة ٧٣٦ه تاريخ إقامة

(١) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده، ٣٢.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي أبو عبدالله شمس الدين (ت:٧٤٨هـ)، دار الحديث، من دون طبعة، (القاهرة/ ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ٢٢٠/١٢.

(٣) البداية والنهاية، ٢٧٠/١٤.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة، ٢٣٢/٢.

(٥) نجم الدين بن خليخان: وهو من قام ببناء الجامع الذي عرف بجامع (الخليخاني)، نسبة إلى بانيه، وباب كيسان ينسب إلى كيسان بن معاوية، وهو الآن مسدود ولم يزل مسدوداً إلى عهدنا هذا ؛ ينظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد بدران (ت: ١٣٤٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، (بيروت/ ١٩٨٥م)، ٣٧٥.

(٦) البداية والنهاية، ٢٧٨/١٤.

(٧) الدارس في تاريخ المدارس، ٧٠/٢.

الجمعة في هذا الجامع، وأما عن الجامع، فقد أُدْخِل اليوم في بستان له، يقال له بستان الأمير، ولم يبق من آثاره اليوم إلا بعض منارته، وقبرٌ إلى جانبها(١).

٤- الإِفْتَاءُ:

إنّ ما كان عليه ابن القيم "رحمه الله" من رغبة قوية في نشر العلم وتبليغه، والصَّدْعِ بالحق وبيانه، والأخذ بيد الجاهل ليعلم أحكام دينه ؛ فإن التصدي للفتوى سيكون متأكَّداً فيه أكثر من غيره (٢).

ولقد وصف ابن القيم "رحمه الله" بأنه كان مشتغلاً بالفتوى، فقال الذهبي "رحمه الله" بوصفه له:(الإمام، المفتي، الْمُتَفَنِّن)(٣)، وقال ابن رجب "رحمه الله": (تفقه في المذهب، وبرع، وأفتى)(٤).

ولقد كان "رحمه الله" فيما يُفتي به: صادعاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائمٍ، وقد جرى له من محنٍ وحبس بسبب افتائه "رحمه الله" (٥).

٥ - التأليف:

أما التأليف: فقد كان له فيه اليد الطولى، والصيت الذائع، والحلاوة الفائقة، والعبارة الرائقة، والفوائد الْجَمَّة، والقبول التام، فمن الأعمال الجليلة التي اشتغل بها الإمام "رحمه الله" التأليف العلمي في المجالات المختلفة، والمتتبع لتلك المؤلفات يدرك العناية الفائقة التي بذلها "رحمه الله" في التأليف بأسلوب علمي، وجزالة في اللفظ وحسن انتقاء للعبارة مما يجعل القارئ لا يكاد يمل من قراءة هذه الكتب الفائقة، قال النعيمي(٦) "رحمه الله": (وأوقف كتبًا حسانًا في علوم

(١) ينظر: منادمة الأطلال، ٣٧٦.

(٢) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، ٢٣٣/٢.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٢٣٣/١٢.

(٤) ذيل طبقات الحنابلة، ٢٣١/٢.

(٥) المصدر نفسه، ٢٠٢/٢.

(٦) النعيمي: هو عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، ولد في دمشق سنة ٨٤٥ هـ، وكان شديد الحب الحب بمسقط رأسه الذي تولى فيه ولفترة منصب القضاء، وهو من أشهر من كتب في فضائل دمشق ولكنه ليس بآخرهم، وتوفي النعيمي في سنة ٩٧٨ هـ ؛ ينظر: الأعلام، ٨٥/١.

شتى)[١]، وقال الذهبي "رحمه الله" (ومصنفاته سائرة مشهورة)[٢].

وقد صنف ابن قيم الجوزية "رحمه الله" تصانيف كثيرة جدًا في أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم، وقال ابن كثير "رحمه الله": (... وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئًا كثيرًا، واقتنى من الكتب مالا يتهيأ لغيره)[٣]، وقد بلغت مؤلفاته نحو سبعة وتسعون مصنف واكثر[٤]، فمنها المطبوعة ومنها المخطوطة ومنها مالم يصلنا، وسأكتفي بذكر اهم واشهر مؤلفات ابن قيم الجوزية "رحمه الله" في الهامش[٥].

المبحث الثاني

الهجرة النبوية الشريفة عند ابن القيم (رحمه الله)

يعد حادث الهجرة فيصلاً بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية، هما المرحلة المكية والمرحلة المدنية، ولقد كان لهذا الحادث آثار جليلة على المسلمين، ليس فقط في عصر رسول الله (ﷺ) ولكن آثاره الخيرة قد امتدت لتشمل حياة المسلمين في كل عصر ومصر، كما أن آثاره شملت الإنسانية أيضاً، لأن الحضارة الإسلامية التي قامت على أساس الحق والعدل والحرية والمساواة هي حضارة

(١) الدارس في تاريخ المدارس، ٧٤/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٢٣٥/١٢.

(٣) البداية والنهاية، ٢٨٢/١٤.

(٤) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده، ٣٨ ؛ وابن القيم من اثاره العلمية، ٢٢.

(٥) ذكرت هذه المؤلفات لابن القيم "رحمه الله" في مظان كتب اخرى: (زَادُ الْمَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ، أحكام أهل الذمة، أعلام الْمُوَقِّعِينَ عن رب العالمين، إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان، الرِّسالة التَّبُوكِية، تُحْفَةُ الْمَوْدُودِ بِأَحكامِ الْمَولُود، مَدَارِجُ السَّالِكِين بين مَنَازِلِ إِيَّاك نَعْبدُ وإِياك نَسْتَعِين، هِدَايَة الْحَيَارَى فِي أَجْوِبَة اليهودِ والنَّصارى، الطُّرُقُ الْحُكْمِيَّة في السِّياسَة الشَّرعية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، الفروسية، الصَّواعق الْمُرْسلة على الْجَهْمِيَّةِ والْمُعَطِّلة) وغيرها كثير في شتى العلوم والفنون... ينظر: شذرات الذهب، ١٠٠/٦ ؛ والدارس في تاريخ المدارس، ٧٤/٢ ؛ وذيل طبقات الحنابلة، ٢٣٧/٢.

إنسانية، قدمت، ولا زالت تقدم للبشرية أسمى القواعد الروحية والتشريعية الشاملة، التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع، والتي تصلح لتنظيم حياة الإنسان كإنسان بغض النظر عن مكانه أو زمانه أو معتقداته، وقد كان نجاح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة، فهذه من أعظم المكاسب التي حصل عليها المسلمون منذ بداية الدعوة [١].

وفي هذا المبحث سأذكر احداث من الهجرة النبوية الشريفة، وما تحمله من المواقف والفوائد الكثيرة، وهذا ما سأتناوله في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: اسباب اختيار المدينة المنورة للهجرة.

المطلب الثاني: هجرته (ﷺ) للمدينة المنورة.

المطلب الأول

اسباب اختيار المدينة المنورة للهجرة

تعد الهجرة النبوية المباركة من مكة إلى المدينة المنورة[٢] -يثرب- أهم حدث في تاريخ الامة الاسلامية والدعوة، إذ كانت نقطة تحول في تاريخ المسلمين، كان

(١) ينظر: السِّيرةُ النّبوية السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل، لعلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة،(بيروت – لبنان/ ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ٢٣٣.

(٢) المدينة المنورة: هي مدينة الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد تكررت كثيراً في السيرة، وهي أشهر من أن تعرف هنا، ولها من التاريخ ما ملأ عشرات الكتب الضخام، وكانت تسمى (يثرب) فسماها رسول الله (ﷺ) (المدينة)، وسماها ايضاً (طابة)، وفي الحديث: (إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)، عن ابي هريرة (رضي الله عنه)، ورواه الإمام أحمد في مسنده، ٢٨٣/١٥، رقم الحديث (٩٤٧١)، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخيين؛ ينظر: معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، لعاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي (ت: ١٤٣١هـ)، دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (مكة المكرمة/١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ٢٨٤.

المسلمون قبل الهجرة أمة دعوة، يبلغون دعوة الله (ﷻ) للناس، دون أن يكون لهم كيان سياسي، يحمي الدعاة والدعوة ويدفع عنهم الأذى من أعدائهم[١].

فبعد ما تيقن الرسول (ﷺ) من أن مكة لم تعد تصلح أن تكون أرضًا تؤوي الدعوة وتحميها، بل باتت تهدد وجودها، كان لابد لدعوة الإسلام من أرض تقف عليها، وتنطلق منها، وتكون لها السيطرة عليها، حتى يتسنى لها الانتشار ومجابهة الباطل، الذي يقف أهله عقبة في طريق الدعوة[٢].

وكان لابد لهذه الأرض من أن تتوافر فيها بعض السمات، حتى تكون عوناً للمسلمين على أداء دورهم في خلافة الأرض، وإقامة العدل، فقد رأى النبي (ﷺ) في منامه دار الهجرة ومميزاتها، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة، أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب)[٣]، ولعل من أبرز الصفات التي امتازت بها المدينة المنورة هي:

١- إنّ المدينة كانت مركزًا تجاريًا مهماً بين شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها، وكانت- وما تزال - أرضًا زراعية خصبة، يزرع بها التمر بكميات هائلة، وعندما جاء الصحابة (رضي الله عنهم) للمدينة المنورة، وجدوها أرضًا عامرة بالزراعة[٤].

---

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (بلا /١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ٢٣٤.

(٢) ينظر: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ﷺ)، لأحمد إبراهيم الشريف، مطبعة دار الفكر العربي، من دون طبعة، (بلا/ بلا سنة نشر)، ٢٣٩.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٤/٣ ؛ وأخرجه البخاريّ في كتابه صحيح البخاري، كتاب مناقب الانصار، باب هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة، ٥٦/٥، رقم الحديث (٣٨٩٧)، وفي رواية اخرى للبخاري: (إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين)، من حديث عائشة (رضي الله عنها).

(٤) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٠٧ ؛ والهجرة النبوية – دراسة وتحليل، لمحمد السيد الوكيل، مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية عشر، (المدينة المنورة /١٤٠٠هـ)، ١٧٩ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ٢٣٥.

٢- تمتاز المدينة بموقع طبيعي حصين، إذ تحيط بها الجبال، والحِرار من كل الجوانب، وقد ظهرت أهمية هذه الميزة حين هجوم الأحزاب عليها، فقد فشلت قريش في الدخول إلى المدينة المنورة لمجرد حفر المسلمين للخندق(١).

٣- أما بخصوص موقع المدينة، فكان فريدًا، حيث تتمتع بمنافذ وقنوات اتصال مع الخارج، إذ كانت تمثل همزة الوصل بين شمالي الجزيرة وجنوبيها، لذا كانت المدينة سالكة مع الخارج(٢).

٤- أما أمر الأنصار وحمايتهم للدعوة، فأمر معلوم تشهد به مجاهداتهم في بدر، وأحد، وغيرهما، فقد كان الأنصار من الأوس والخزرج(٣) معروفين بقوة الشكيمة، والفروسية، والشجاعة، والنخوة، وكانوا أهل خبرة وبصر بالقتال وفنونه، ولهذا لم يتأخروا أبدًا عن رسول الله (ﷺ)، فدوه بالنفس والنفيس(٤).

---

(١) ينظر: فتوح البلدان، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال، من دون طبعة، (بيروت/١٩٨٨م)، ١٢٢.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت:٣١٠هـ)،(صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت: ٣٦٩هـ)، دار التراث، الطبعة الثانية، (بيروت/ ١٣٨٧هـ)، ٩٥/٤.

(٣) الأوس والخزرج: وهما قبيلتان من الأزد الذين ينتمون إلى شعب قحطان، اللذان سكنوا يثرب، بعدما عطف ثعلبة بن عمرو جدّهم نحو الحجاز بعد خراب سد مأرب (سنة ١٢٠ ق م) وكان الأوس والخزرج يسمعون اليهود يتحدّثون عن النبوّة والأنبياء ويتلون صحف التوراة ويفسّرونها، بل كانوا يتوعّدونهم به، ويقولون: إنّه سيبعث نبيّ في آخر الزمان، نقتلكم معه قتل عاد وإرم ؛ ينظر: مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، لمحمود بن أحمد بن موسى ابن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى أبو محمد بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت – لبنان/ ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ٣٨٢/٣.

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٤/٣ ؛ والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، ٤٦١/١.

ونظرًا لتلك الصفات المتفردة، لم يكن غريبًا أن تصبح المدينة أصلح مكان لهجرة الرسول (ﷺ) وصحبه (رضي الله عنهم)، فاتخذوها لهم دارًا وقرارًا، حتى يقوى الإسلام، ويشق طريقه إلى الأمام، ويفتح الجزيرة ثم يفتح العالم المتمدن[١].

المطلب الثاني

هجرته (ﷺ) للمدينة المنورة

قال ابن القيم "رحمه الله" عن الهجرة النبوية الشريفة: (فلما رأى المشركون أصحاب رسول الله (ﷺ) قد تجهزوا وخرجوا وحملوا، وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج، وعرفوا أن الدار دار منعة، وأن القوم أهل حلقة وشوكة وبأس، فخافوا خروج رسول الله (ﷺ) إليهم ولحوقه بهم، فيشتد عليهم أمره، فاجتمعوا في دار الندوة[٢]، ولم يتخلف أحد من أهل الرأي والحجة منهم ليتشاوروا في أمره، وحضرهم وليهم وشيخهم إبليس في صورة شيخ كبير من أهل نجد، فتذاكروا أمر رسول الله (ﷺ)، فأشار كل واحد منهم برأي، والشيخ يرده ولا يرضاه، إلى أن قال أبو جهل[٣]: قد فرق لي فيه رأي ما أراكم قد وقعتم عليه، قالوا:

---

(١) ينظر:المختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقيّ المولد، ثم المصري، عز الدين (ت: ٧٦٧هـ)، تحقيق: سامي مكي العاني، دار البشير، الطبعة الأولى، (عمان/ ١٩٩٣م)،١٢٤.

(٢) دار الندوة: وهي مكان يجتمعون فيها ليحكم فيها بين قريش، ثم صارت الدار لتشاورهم وعقد الألوية في حروبهم فكانت أول دار بنيت بمكة، فكانوا لا يتشاورون في أمر، ولا يعقدون لواء بالحرب إلا فيها، ولا يدخلها إلا من بلغ سن الأربعين ؛ ينظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق أبو الوليد الغساني المكي المعروف بالأزرقي (ت:٢٥٠ه) تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، من دون طبعة، (بيروت/بلا سنة نشر)، ١٠٩/٢.

(٣) أبو جهل: هو عدو الله، فرعون هذه الأمة، اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوك بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القريشى المخزومى، وكـــــــان أبا جهل يكنى فى الجاهلية أبا الحكم، وكناه رسول الله (ﷺ) أبا جهل، وكان أبو جهل وابنه عكرمة من أشد الناس عداوة لرسول الله (ﷺ) فقتل الله أبا جهل يوم بدر=

ما هو؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاماً نهداً جلداً، ثم نعطيه سيفاً صارماً، فيضربونه ضربة رجلٍ واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا تدري بنو عبد مناف بعد ذلك كيف تصنع، ولا يمكنها معاداة القبائل كلها، ونسوق إليهم ديته، فقال الشيخ: لله در الفتى، هذا والله الرأي، قال: فتفرقوا على ذلك، واجتمعوا عليه، فجاءه جبريل بالوحي من عند ربه تبارك وتعالى، فأخبره بذلك، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة)[١].

(وجاء رسول الله (ﷺ) إلى أبي بكر (رضي الله عنه) نصف النهار في ساعة لم يكن يأتيه فيها متقنعا، فقال له: (أخرج من عندك)[٢]، فقال: إنما هم أهلك يا رسول الله، فقال: إن الله قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة يا رسول الله؟ فقال رسول الله (ﷺ): نعم، فقال أبو بكر(رضي الله عنه): فخذ بأبي وأمي إحدى راحلتي هاتين، فقال رسول الله (ﷺ): (بالثمن)[٣]، وأمر علياً (رضي الله عنه) أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ويرصدونه، ويريدون بياته، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج رسول الله (ﷺ) عليهم فأخذ حفنة من البطحاء، فجعل يذره على رؤوسهم، وهم لا يرونه، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ

=كافرًا وبقى عكرمة، ثم هداه الله تعالى، فأسلم عكرمة بعد الفتح بقليل ؛ ينظر: جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت/ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ١٤٥.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٦/٣ ؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٢.

(٢) السيرة النبوية لأبن هشام ، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد ، جمال الدين (ت: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا – وإبراهيم الأنباري ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، (مصر/ ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ٢٩٣/٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٦/٣ ؛ أخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب مناقب، باب: هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة، ٥٨/٥، رقم الحديث (٣٩٠٥)، من حديث عائشة (رضي الله عنها).

أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[١]، ومضى رسول الله (ﷺ) إلى بيت أبي بكر(رضي الله عنه)، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلا، وجاء رجل ورأى القوم ببابه فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدا، قال: خبتم وخسرتم، قد والله مر بكم وذر على رؤوسكم التراب، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فلما أصبحوا قام علي (رضي الله عنه) عن الفراش فسألوه عن رسول الله (ﷺ)، فقال: لا علم لي به)[٢].

ثم مضى (ﷺ) وأبو بكر (رضي الله عنه) إلى غار ثور، فدخلاه، وضرب العنكبوت على بابه، وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي[٣]، وكان هادياً ماهراً بالطريق، وكان على دين قومه من قريش، وأمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث، وجدّت قريش في طلبهما، وأخذوا معهم القافة[٤]، حتى انتهوا إلى باب الغار، فوقفوا عليه[٥].

---

(١) سورة يس، الآية (٩).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣ /٤٧ ؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٣.

(٣) عبد الله بن أريقط الليثي الدّيلِيّ وهو ابن الديل بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، وقيل: من بنى عدى بن عمرو بن خزاعة، وقيل اسمه: أريقه، وعند ابن سعد: أريقط وعن مالك اسمه: أرقيط، ويقال ابن ارقد، وهو دليلا وهاديا خريتا والخريت الماهر، وهو علي دين كفار قريش، ولم يعرف له إسلام ؛ ينظر: جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار – ورياض الزركليى، دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى، (بلا / ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م)، ١/٢٦٠.

(٤) القافة: مفردها قائف: هو الذى يعرف الآثار، آثار الأقدام، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه، وهم مشهورون من (مدلج) قبيلة من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة، ينسبون الولد لابيه من اثاره ومشهورين في اتباع الاثار ؛ ينظر: غريب الحديث، لحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي ، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي دار الفكر، من دون الطبعة، (بلا/١٤٠٢ه/١٩٨٢م)، ١/٧٠٠.

(٥) ينظر: الرسالة المحمدية، للسيد سليمان الندوي الحسيني (ت: ١٣٧٣هـ)، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، (دمشق/ ١٤٢٣هـ)، ٦٢.

وفي الصحيحين: أن أبا بكر (ﷺ) قال: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال (ﷺ): (يا أبا بكر ما ظنك باثنين، الله ثالثهما، لا تحزن فإن الله معنا)[١]، وكان النبي (ﷺ) وأبو بكر يسمعان كلامهم فوق رؤوسهما، ولكن الله (ﷻ) عمى عليهم أمرهما، وكان عامر بن فهيرة يرعى عليهما غنما لأبي بكر، ويتسمع ما يقال بمكة، ثم يأتيهما بالخبر، فإذا كان السحر سرح مع الناس[٢].

وقالت عائشة (رضي الله عنها): وجهزناهما أحسن الجهاز، ووضعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر (ﷺ) قطعة من نطاقها، فأوكت به الجراب، وقطعت الأخرى فصيرتها عصاماً لفم القربة، فلذلك لقبت، ذات النطاقين[٣].

وعن عمر(ﷺ) قال: (خرج رسول الله (ﷺ) إلى الغار، ومعه أبو بكر (ﷺ)، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن له رسول الله (ﷺ) فسأله، فقال له: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد، فأمشي بين يديك، فقال:(يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟)[٤]، قال: نعم، والذي بعثك

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٧/٣ ؛ وأخرجه البخاريّ في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، ٤/٥، رقم الحديث (٣٦٥٣).

(٢) الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، (بيروت/١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ٧٢.

(٣) ذات النطاقين: هي أسماء بنت أبي بكر (ﷺ) قطعة من نطاقها، فأوكت به الجراب، وقطعت الأخرى فصيرتها عصاما لفم القربة، فكانت تسمى (ذات النطاقين)، وزوجها هو الزبير بن العوام وكان إسلامها قديما بمكة، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير، وتوفيت أسماء بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بيسير، ويقال: إنها عمرت مائة سنة ؛ ينظر: جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، (بيروت /١٩٨٧م)، ٩٢٥/٢.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣ /٤٨ ؛ واخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،=

بالحق، فلما انتهى إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار، فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة، فقال: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الجحرة، ثم قال: انزل يا رسول الله فنزل، فمكثا في الغار ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب، فجاءهما عبد الله بن أريقط بالراحلتين، فارتحلا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة وسار الدليل أمامهما، وعين الله تكلؤهما)[١].

ولما يئس المشركون من الظفر بهما جعلوا لمن جاء بهما دية كل واحد منهما، فجد الناس في الطلب، والله غالب على أمره، فلما مروا بحي بني مدلج مصعدين من قديد، بصر بهم رجل من الحي، فوقف على الحي فقال: لقد رأيت آنفا بالساحل أسودة ما أراها إلا محمداً وأصحابه، ففطن بالأمر سراقة بن مالك[٢]، فأراد أن يكون الظفر له خاصة وقد سبق له من الظفر ما لم يكن في حسابه فقال: بل هم فلان وفلان، خرجا في طلب حاجة لهما، ثم مكث قليلاً ثم قام فدخل خباءه وقال لخادمه: اخرج بالفرس من وراء الخباء وموعدك وراء الأكمة' ثم أخذ رمحه وركب فرسه، فلما قرب منهم وسمع قراءة رسول الله (ﷺ)، وأبو بكر (رضي الله عنه) يكثر الالتفات، ورسول الله (ﷺ) لا يلتفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله هذا سراقة بن مالك قد لحق بنا، فدعا عليه رسول الله (ﷺ) فساخت يدا فرسه في الأرض، فقال: قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما، فادعوا الله لي، ولكما علي أن أرد الناس عنكما، فدعا له رسول الله (ﷺ)، فأطلق، وسأل رسول الله (ﷺ) أن يكتب له كتاباً، فكتب له أبو بكر

=دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ٧/٣، كتاب الهجرة، رقم الحديث (٤٢٦٨)، وقال صحيح، وأقره الذهبي وقال: صحيح مرسل.

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٨/٣ ؛ وتاريخ الطبري، ٧٤/٤.

(٢) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن علي ابن كنانة المدلجي الكناني، يكنى أبا سفيان، ومات سراقة بن مالك بن جعشم سنة أربع وعشرين في صدر خلافة عثمان، وقد قيل: إنه مات بعد عثمان ؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٣٧/٤.

بأمره في أديم[١]، وكان الكتاب معه إلى يوم فتح مكة، فجاءه بالكتاب فوفاه له رسول الله (ﷺ)، وقال: (يوم وفاء وبر)[٢]، وعرض عليهما الزاد والحملان، فقالا: لا حاجة لنا به ولكن عم عنا الطلب، فقال: قد كفيتم، ورجع فوجد الناس في الطلب، فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر، وقد كفيتم ما هاهنا، فكان أول النهار جاهداً عليهما، وآخره حارساً لهما[٣].

ثم مر رسول الله (ﷺ) في مسيره ذلك، حتى مر بخيمتي أم معبد الخزاعية[٤]، وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة، ثم تطعم وتسقي من مر بها، فسألاها: هل عندها شيء؟ فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، والشاء عازب، وكانت سنة شهباء' فنظر رسول الله (ﷺ) إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: (ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن ؟ قالت: هي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت: نعم، بأبي وأمي إن رأيت

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: هجرة النبي (ﷺ) واصحابه الى المدينة، ٦٠/٥، رقم الحديث (٣٩٠٦)، تعليق مصطفى البغا، وقال المعلق: و(أديم) هو الجلد المدبوغ.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٠/٣؛ اخرجه ابن حبان في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ١٨٨/١٤، رقم الحديث (٦٢٨١)، قال المحقق: حديث صحيح.

(٣) ينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بلا /١٤٠٥هـ)، ٤٣٧/١.

(٤) أم معبد الخزاعية: هي عاتكة بنت خالد أخت حبيش، لما خرج رسول الله (ﷺ) من مكة مهاجرا إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى له يدعى عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط، مروا على خيمتي أم معبد، وكانت امرأة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئاً ؛ ينظر: الوافي بالوفيات، ٣١٦/١٦.

بها حلبا فاحلبها...)[١]، فمسح رسول الله (ﷺ) بيده ضرعها، وسمى الله ودعا، ثم دعا بإناء لها يربض الرهط، فحلب فيه حتى علته الرغوة، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب وحلب فيه ثانيا حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها، فارتحلوا، فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافاً يتساوكن هزالاً لا نقي بهن، فلما رأى اللبن عجب فقال: من أين لك هذا والشاة عازب ؟ ولا حلوبة في البيت ؟ فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، ومن حاله كذا وكذا، قال: والله هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا، لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعونه ولا يرون القائل:

جزى الله رب العرش خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به وأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا يجازى وسؤدد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصـــد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاء تشهد
دعـــاها بشاة حائل فتحلّبت عليه صريحا صرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب يردد في مصدر ثم مورد[٢].

قالت أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها): ما درينا أين توجه رسول الله (ﷺ)، إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة، فأنشد هذه الأبيات، والناس يتبعونه ويسمعون صوته، ولا يرونه حتى خرج من أعلاها، قالت: فلما سمعنا قوله، عرفنا حيث توجه رسول الله (ﷺ) وأن وجهه إلى المدينة[٣].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٠٠/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام، ٤٨٨/١ ؛ والمختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ٧٥.
(٢) فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ص١١٧.
(٣) المرجع نفسه، ١١٧ ؛ ومختصر زاد المعاد، ١١٥.

وبلغ الأنصار مخرج رسول الله (ﷺ) من مكة، وقصده المدينة، وكانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه أول النهار، فإذا اشتد حر الشمس رجعوا على عادتهم إلى منازلهم، فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من النبوة خرجوا على عادتهم، فلما حمي حر الشمس رجعوا، وصعد رجل من اليهود على أطم من آطام المدينة لبعض شأنه، فرأى رسول الله (ﷺ) وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا صاحبكم قد جاء، هذا جدكم[١] الذي تنتظرونه، فبادر الأنصار إلى السلاح ليتلقوا رسول الله (ﷺ)، وسمعت الرجة والتكبير في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحاً بقدومه، وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة، فأحدقوا به مطيفين حوله والسكينة تغشاه، والوحي ينزل عليه: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[٢]، فسار حتى نزل بقباء في بني عمرو ابن عوف، فنزل على كلثوم بن الهدم[٣]، وقيل: بل على سعد بن خيثمة[٤]، والأول أثبت،

(١) جدكم: أي هذا حظكم وصاحبكم ودولتكم الذي تتوقعونه، اوجدكم وسلطانكم، وقد يحتمل أن يريد سعدكم ودولتكم وكلاهما متقارب ؛ ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة- دار التراث، من دون طبعة، (بلا/ بلا سنة نشر)، ١٤١/١.

(٢) سورة التحريم، من الآية (٤).

(٣) كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس، وكان شيخا كبيراً، مات بعد قدوم رسول الله (ﷺ) المدينة بيسير، وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي (ﷺ)، ثم مات بعده أسعد بن زرارة بأيام ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٣٢٨/٣.

(٤) سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس، يكنى أبا خيثمة، وقيل: أبو عبد الله، وقيل: إن أبا خيثمة الذي لحق النبي (ﷺ) بتبوك، قتل ببدر ؛ ينظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الطبعة الاولى، (الرياض/ ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ١٢٥٢/٣.

فأقام في بني عمرو بن عوف، وأسس مسجد قباء[١]، وهو أول مسجد أسس بعد النبوة [٢].

فلمّا كان يوم الجمعة ركب بأمر الله له، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف[٣]، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، ثم ركب فأخذوا بخطام راحلته، هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فقال (ﷺ):(خلوا سبيلها فإنها مأمورة)[٤]، فلم تزل ناقته سائرة به لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه في النزول عليهم، فسارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم وبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا، ثم التفتت فرجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها، وذلك في بني النجار أخواله (ﷺ)[٥].

(١) قباء: بضم القاف وتخفيف الموحدة وآخره همزة: جاء من أماكن كثيرة من السيرة، أهمها نزوله (ﷺ) بقباء أول وصوله إلى المدينة، وبناؤه فيه أول مسجد أسس، وقباء هذه قرية على ميلين جنوب المدينة، وأقام بها رسول الله (ﷺ) الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وقد اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجد قباء، وبعثوا للنبي (ﷺ) أن يأتيهم فأتاهم وصلّى فيه، وفعله هذا سنة إذ كان (ﷺ) يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا ؛ ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت:٤٨٧هـ)، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، (بيروت/ ١٤٠٣هـ)، ١٠٤٥/٣.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٢/٣ ؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٨.

(٣) بني سالم بن عوف: هم ابناء عمام بني عمرو بن عوف الذين نزل عندهم رسول الله (ﷺ) يسكنون في المدينة المنورة في بطن الوادي، وادي رانوناء، ادركته (ﷺ) صلاة الجمة فصلاها في المسجد بني سالم، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، ووادي رانوناء: واد صغير بين قباء ومسجده (ﷺ)، يصب من حرة قباء في وادي بطحان جنوب مسجد الغمامة، ولا يعرف اسم الوادي اليوم إلا للخاصة، ولكن مسجد الجمعة معروف هناك، وقد ظهر في المخطط الذي نشر في رسم المدينة ؛ ينظر: معجم الْمَعَالِمِ الْجغْرَافِية في السيرَة النبوِية، ١٣٥.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٣/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام، ٤٩٤/١.

(٥) ينظر: مختصر زاد المعاد، ١١٤ ؛ والرحيق المختوم، ١٥٧.

وكان من توفيق الله لها فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلمون رسول الله (ﷺ) في النزول عليهم،وبادر أبو أيوب الأنصاري[١](رضي الله عنه) إلـــــى رحله فأدخله بيته، فجعل رسول الله (ﷺ) يقول: (المرء مع رحله)[٢].

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): كان رسول الله (ﷺ) بمكة، فأمر بالهجرة، وأنزل عليه قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾[٣]، وقال قتادة [٤]"رحمه الله": أخرجه الله من مكة إلى المدينة مخرج صدق، ونبي الله يعلم أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل الله سلطاناً نصيراً، وأراه الله (ﷻ) دار الهجرة وهو بمكة، فقال:(أريت دار هجرتكم بسبخة

---

(١) أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار، وأمه هند بنت سعد بن قيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر، حضر أبو أيوب العقبة، ونزل عليه رسول الله (ﷺ) حين قدم المدينة في الهجرة، وعاش بعد ذلك زمانا طويلا، حتى مات ببلد الروم غازياً في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقبره في أصل سور القسطنطينية ؛ ينظر الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـــ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت/ ١٤١٠هـــ / ١٩٩٠م)، ١٨٨/١.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣/ص٥٣ ؛ وتاريخ الطبري، ٣٩٦/٢.

(٣) سورة الاسراء، الآية (٨٠).

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري: مفسر حافظ ضرير أكمه، قال الامام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب، وكان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث، ومات بواسط في الطاعون في سنة ١١٨هـــ ؛ ينظر: التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤هـــ)، تحقيق: د. أبو لبابة حسين دار اللواء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (الرياض/ ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م)،ج٣/ص١٠٦٣ ؛ والأعلام، ٤٢٢/١.

ذات نخل بين لابتين)[١].

وقال البراء (ﷺ): (أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله (ﷺ) مصعب ابن عمير، وابن أم مكتوم[٢]، فجعلا يقرئان الناس القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب (ﷺ) في عشرين راكباً، ثم جاء رسول الله (ﷺ)، فما رأيت الناس فرحوا بشيء كفرحهم به، حتى رأيت النساء والصبيان والإماء يقولون: هذا رسول الله قد جاء)[٣].

أما ذكر بناء المسجد، فبعد ما بركت ناقة النبي (ﷺ) كان موضع مسجده، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين، وكان مربدا لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار كانا في حجر أسعد بن زرارة، فساوم رسول الله (ﷺ) الغلامين بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله (ﷺ)، فابتاعه منهما بعشرة دنانير، وكان جداراً ليس له سقف، وقبلته إلى بيت المقدس، وكان فيه شجرة غرقد وخرب ونخل وقبور للمشركين، فأمر رسول الله (ﷺ) بالقبور فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل والشجر فقطعت وصفت في قبلة المسجد، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، والجانبين مثل ذلك أو دونه، وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع، ثم بنوه باللبن، وجعل رسول الله (ﷺ) يبني معهم، وينقل اللبن والحجارة بنفسه ويقول:

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٤/٣ ؛ اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الانصار، باب: هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة، ٥٨/٥، رقم الحديث (٣٩٠٥)، من حديث عائشة (رضي الله عنها).

(٢) ابن ام مكتوم: هو عبد الله بن شريح بن قيس من بني عامر بن لؤي وأمه عاتكة بنت مخزوم الذي أنزل الله (ﷻ) فيه: سورة (عَبَسَ) وكان ضريراً، واسم أمِّ مكتومٍ هي عاتكة بنت عبد الله ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٩٧٩/٣.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٤/٣ ؛ واخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الانصار، باب: هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة، ٥٤/٥، رقم الحديث (٣٩٢٥)، من حديث البراء بن عازب (ﷺ).

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغــفر للأنصار والمهاجرة [١]

وكان يقول:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطــهر[٢]

وجعلوا يرتجزون وهم ينقلون اللبن، ويقول بعضهم في رجزه:

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلل[٣]

وجعل قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب، بابا في مؤخره، وبابا يقال له: باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه رسول الله (ﷺ)، وجعل عمده الجذوع، وسقفه بالجريد، وقيل له: ألا تسقفه فقال:(لا عريش كعريش موسى)[٤]، وبنى إلى جنبه بيوت أزواجه باللبن، وسقفها بالجريد والجذوع، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد قبليه، وهو مكان حجرته اليوم، وجعل لسودة بنت زمعة بيتا آخر[٥].

ثم آخى رسول الله (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك (رضي الله عنه) وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، وان يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام، وكان ذلك إلى حين واقعة بدر[٦]، فلما أنزل الله (عز وجل): ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ

(١) فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٢٠ ؛ والبداية والنهاية، ٣٤٥/٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٦/٣ ؛ اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الانصار، باب هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة، ٦٠/٥، رقم الحديث (٣٩٠٦).

(٣) فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٢٠.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٦/٣ ؛ وفيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى (بيروت – لبنان / ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م)، ٧٤١/٤، رقم الحديث (٥٤١٦)، قال الالباني: حديث صحيح.

(٥) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٢١ ؛ والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ٧٨.

(٦) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٦/٣.

أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾[١]، فرد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة [٢].

المبحث الثالث

الدروس الدعوية المستفادة من الهجرة النبوية الشريفة

ومن هذه الهجرة النبوية الشريفة للنبي (ﷺ) واصحابه الكرام (رضي الله عنهم) استطيع ان اقف على عدة أحداث ودروس ومواقف عدة، قد اشار اليها ابن القيم "رحمه الله" من خلال عرضه لهجرة النبي (ﷺ) الى المدينة المنورة، ومن اهم هذه الدروس الدعوية والتي اوجزها على النحو الاتي:

١_ ضرورة الجمع بين التوكل على الله (عز وجل) والأخذ بالأسباب:

التوكل في لسان الشرع يراد به توجه القلب إلى الله حال العمل، واستمداد المعونة منه، والاعتماد عليه وحده ؛ فذلك سر التوكل وحقيقته، والذي يحقق التوكل هو القيام بالأسباب المأمور بها؛ فمن عطلها لم يصحَّ توكله ؛ فلم يكن التوكل داعية إلى البطالة، أو الإقلال من العمل، بل لقد كان له الأثر العظيم في إقدام عظماء الرجال على جلائل الأعمال [٣].

ومن هنا فإن رسول الله (ﷺ) أحكم خطة هجرته، وأعد لكل فرض عُدَّتَه، ولم يدع في حسبانه مكاناً للحظوظ العمياء، ثم توكل بعد ذلك على من بيده ملكوت كل شيء، وكثيراً ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيباً حسناً ؛ ثم يجيئ عَوْنٌ أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار، وهكذا جرت هجرة رسول الله (ﷺ) من مكة إلى المدينة على هذا الغرار ؛ فقد استبقى معه أبا بكر وعلياً (رضي الله عنهما)، وأذن لسائر المؤمنين بتقدمه إلى المدينة، فأما أبو بكر فإن الرسول (ﷺ) قال له حين استأذنه ؛ ليهاجر: (

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٧/٣ ؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٢١؛ والرحيق المختوم، ١١٩ ؛ والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ٧٨.

(٣) ينظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، ٦٥.

لا تعجل ؛ لعل الله أن يجعل لك صاحباً)[١]، واما علي ابن ابي طالب (ﷺ) فبقي في بيت الرسول (ﷺ) ليرد الامانات الى اهلها ويوهم قريش.

بل الأخذ بالأسباب أمر ضروري وواجب، ولكن لا يعني ذلك دائماً حصول النتيجة، ذلك لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله (ﷻ)، ومشيئته ومن هنا كان التوكل أمراً ضرورياً وهو من باب استكمال اتخاذ الأسباب[٢].

وهذا رسول الله (ﷺ) أعد كل الأسباب، واتخذ الوسائل كلّها، ولكنه في الوقت نفسه مع الله يدعوه ويستنصره أن يكلل سعيه بالنجاح وهنا يستجاب الدعاء، وينصرف القوم بعد أن وقفوا على باب الغار، وتسيخ فرس سراقة في الأرض ويكلل العمل بالنجاح[٣].

٢_ تبليغ الدعوة بالسيرة الحسنة:

وهذا من شأنه أن يجذب الناس إلى الإسلام، فالسيرة الطيبة للداعي، وأفعاله الحميدة، وصفاته العالية، وأخلاقه الكريمة والتزامه بالإسلام ظاهرًا وباطنًا مما يجعله قدوةً طيبةً وأُسوةً حسنةً لغيره ؛ لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ من التأثير بالكلام وحده، وأصول السيرة الحسنة التي يكون بها الداعية قدوةً طيبةً لغيره ترجع

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٣/٣ ؛ واخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، من دون طبعة، (بيروت/ ١٤١٢هـ)، ٧٦/٦، رقم الحديث (٩٩٢٠)، وقال المحقق: حديث حسن.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٣/٣ ؛ والسيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين (ت: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية، (بيروت/ ١٤٢٧هـ)، ٦٥.

(٣) ينظر: فقه السيرة، ابن قيم الجوزية، ١١٢ ؛ والحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي (ت:١٤٢٥هـ)، دار القلم، الطبعة الاولى، (دمشق/١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ٣٠٨.

إلى أصلين عظيمين هما: حسن الخلق، وموافقة العمل للقول [١].

٣_ الصراع المستمر بين الحق والباطل:

فعلى الداعية أن يعلم بان الصراع بين الحق والباطل صراع قديم وممتد، وهو سنّة إلهية نافذة [٢]، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٣]، ولكن هذا الصراع معلوم العاقبة، فقال تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٤].

٤_ المكر المستمر من خصوم الدعوة بالداعية والدعوة:

إنّ مكر خصوم الدعوة أمر مستمر ومتكرر، سواء عن طريق الحبس أو القتل أو النفي والإخراج من الأرض، فيجب على الداعية أن يلجأ إلى الله (ﷻ) وأن يثق به ويتوكل عليه ويعلم أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله[٥]، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾[٦].

ومن مكر أهل الباطل وخصوم الدعوة استخدام سلاح المال لإغراء النفوس الضعيفة للقضاء على الدعوة والدعاة، ولذلك رصدوا مائة ناقة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، فتحرك الطامعون ومنهم سراقة، الذي عاد بعد هذه المغامرة الخاسرة مادياً بأوفر ربح وأطيب رزق، وهو رزق الإيمان، وأخذ يعمِّي الطريق على الطامعين

(١) ينظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، للدكتور سعيد بن على بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (السعودية/١٤٢٣هـ)، ١٢٩.

(٢) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٣.

(٣) سورة الحج، الآية (٤٠).

(٤) سورة المجادلة، الآية (٢١).

(٥) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٤/٣ ؛ والرحيق المختوم، ١٠٦.

(٦) سورة الانفال، الآية (٣٠).

الآخرين الذين اجتهدوا في الطلب، وهكذا يرد الله (ﷻ) عن أوليائه والدعاة[١]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[٢].

٥_ التخطيط جزء من السنّة النبوية:

إنّ من تأمل حادثة الهجرة ورأى دقة التخطيط فيها ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها الى انتهائها ومن مقدماتها الى ما جرى بعدها يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله (ﷺ) كان قائماً، وأن التخطيط جزء من السنّة النبوية، وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم وأن الذين يميلون الى العفوية بحجة أن التخطيط وإحكام الأمور ليس من السنّة، فهؤلاء وأمثالهم مخطئون ويجنون على أنفسهم وعلى المسلمين الكثير من صعوبات الحياة[٣].

٦_ الإيمان بالمعجزات الحسية:

وفي هجرة النبي (ﷺ) وقعت معجزات حسية، وهي دلائل ملموسة على حفظ الله (ﷻ) ورعايته لرسول الله (ﷺ)، ومن ذلك نسيج العنكبوت على فم الغار، ومنها ما حدث لرسول الله (ﷺ) مع أم معبد، وما جرى له مع سراقة، ووعده إياه بأن يلبس سواري كسرى، فعلى الدعاة أن لا يتنصلوا من هذه الخوارق، بل يذكروها مادامت ثابتة بالسنّة النبوية، على أن ينبهوا الناس على أن هذه الخوارق هي من جملة دلائل نبوته ورسالته (ﷺ)[٤].

٧_ جواز الاستعانة بالكافر المأمون:

ويجوز للدعاة أن يستعينوا بمن لا يؤمن بدعوتهم ما داموا يثقون بهم ويأتمنونهم على ما يستعينون به معهم، فقد رأينا أن النبي (ﷺ)، وأبا بكر(رضي الله عنه) استأجرا مشركاً ليدلهم على طريق الهجرة، ودفعا إليه راحلتيهما، وواعده عند غار

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٥ ؛ والبداية والنهاية، ١٦١/٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٦).

(٣) ينظر: فقه السيرة،لابن قيم الجوزية، ١١٤؛ والسيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ٦٥.

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٩/٣ ؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ٤٩/٣.

ثور، وهذه أمور خطيرة اطلعاه عليها، ولاشك في أن النبي (ﷺ) قد وثق به وأمنه، مما يدل على أن الكافر أو العاصي أو غير المنتسب الى الدعاة، قد يوجد عند هؤلاء ما يستدعي وثوق الدعاة بهم، كأن تربطهم رابطة القرابة، أو المعرفة القديمة، أو الجوار، أو عمل معروف كان قد قدمه الداعية لهم(١).

٨_ دور المرأة في الدعوة:

وقد لمعت في سماء الهجرة أسماءُ كثيرٍ من الصحابيات، كان لهنّ فضل كبير ونصيب وافر في الدعوة وفي الجهاد، ومنها عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنها) التي حفظت لنا القصة ووعتها وبلَّغتها للأمة، وأم سلمة (رضي الله عنها) المهاجرة الصبور، وأسماء ذات النطاقين التي اسهمت في تموين الرسول (ﷺ) وصاحبه في الغار بالماء والغذاء، وكيف تحملت الأذى في سبيل الله (ﷻ)، فقد حدثتنا (رضي الله عنها) عن ذلك فقالت: (لما خرج رسول الله (ﷺ) وأبو بكر (رضي الله عنه) أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر (رضي الله عنه)، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي ؟ قالت: فرفع أبو جهل يده–وكان فاحشاً خبيثاً – فلطم خدِّي لطمة طرح منها قرطي، قالت: ثم انصرفوا)(٢).

فهذا درس من أسماء (رضي الله عنها) تعلمه لنساء المسلمين جيلاً بعد جيل كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم ؟ وأما درسها الثاني البليغ، فعندما دخل عليها جدها أبو قحافة(٣)، وقد

(١) ينظر: فقه السيرة، ابن قيم الجوزية، ١١٤؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث، ٢٨١.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/ ٥٩؛ والهجرة النبوية المباركة، للدكتور عبد الرحمن البر، دار الكلمة ، الطبعة الأولى، (المنصورة– مصر/١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص١٢٧.

(٣) أبو قحافة: هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، أبو قحافة القرشي التيمي، والد أبي بكر الصديق، أسلم أبواه، أسلم يوم فتح مكة، وأتى به أبو بكر النبي (ﷺ) ليبايعه، فلما دخل رسول اللَّه (ﷺ) المسجد خرج أبو بكر حتى جاء بأبيه يقوده، فلما رآه رسول اللَّه (ﷺ) قال:(هلّا تركت الشّيخ في بيته حتّى آتيه) ! فقال:

ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: كلا يا أبتِ، ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم... ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكّن الشيخ بذلك(١).

وبهذه الفطنة والحكمة كتمت أسماء (رضي الله عنها) أباها، وسكنّت قلب جدها الضرير، من غير أن تكذب، فإن أباها قد ترك لهم حقاً هذه الأحجار التي كوّمتها لتطمئن لها نفس الشيخ ! إلا أنه قد ترك لهم معها إيماناً بالله لا تزلزله الجبال، ولا تحركه العواصف الهوج، ولا يتأثر بقلة أو كثرة في المال، وورثهم يقيناً وثقة به لاحد لها، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالي الأمور، ولا تلتفت الى سفاسفها، فضرب بهم للبيت المسلم مثالاً عزّ ان يتكرر، وقلّ أن يوجد نظيره(٢).

٩_ رد الأمانة إلى أصحابها ولو كانوا أصحابها أعداءه:

وفي إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله (ﷺ) مع محاربتهم له وتصميمهم على قتله دليل باهر على تناقضهم العجيب الذي كانوا واقعين فيه(٣)، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(٤)، ففي أمر الرسول (ﷺ) لعلي (رضي الله عنه) بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة، مع هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، مع ذلك فإن الرسول (ﷺ) ما كان لينسى أو

يمشي هو إليك يا رسول اللَّه، أحقّ من أن تمشي إليه، وأجلسه بين يديه، ثم مسح على صدره، فقال:(أسلم تسلم)، وعاش أبو قحافة إلى خلافة عمر (رضي الله عنه)، ومات سنة أربع عشرة بعد الهجرة ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٠٣٦/٣.

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٩/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام، ١٠٢/٢.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٩/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢٨١.

(٣) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٥ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ١٩٣.

(٤) سورة الانعام، الآية (٣٣).

ينشغل عن رد الأمانات الى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلاً عن غيره[١].

١٠_ الداعية يَعِفّ عن أموال الناس:

فلما عفا النبي (ﷺ) عن سراقة عرض عليه سراقة (رضي الله عنه) المساعدة، فقال: (وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله (ﷺ): لا حاجة لي فيها)[٢]، فحين يزهد الدعاة فيما عند الناس يحبهم الناس، وحين يطمعون في أموال الناس ينفر الناس عنهم، وهذا درس بليغ للدعاة إلى الله (عز وجل)[٣].

١١_ على الداعية أن لا يغفل عن الدعوة إلى الله تعالى في كل المحن والظروف:

إنّ المسلم الذي تغلغلت الدعوة في شغاف قلبه لا يفتر لحظة واحدة عن دعوة الناس الى دين الله تعالى، مهما كانت الظروف قاسية والأحوال مضطربة، والأمن مفقود، بل يستثمر كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله تعالى، هذا نبيّ الله تعالى يوسف (عليه السلام) حينما زج به في السجن ظلماً، واجتمع بالسجناء في السجن، فلم يندب حظه، ولم تشغله هذه الحياة المظلمة عن دعوة التوحيد، وتبليغها للناس ومحاربة الشرك وعبادة غير الله والخضوع لأي مخلوق[٤]، قال تعالى:﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٥ ؛ والهجرة في القرآن الكريم، لأحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، (الرياض/١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ٣٦٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦٠/٣ ؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ٤٨٤/٢.

(٣) ينظر: في ظلال السيرة النبوية – الهجرة النبوية، للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الثانية، (عمان – الأردن/١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٥٨.

(٤) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢٨٦ ؛ والهجرة النبوية – دراسة وتحليل، ١٨٣.

سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1]، وهذه سورة يوسف (عليه السلام) مكية، وقد أمر الله (عز وجل) رسوله محمد (ﷺ) أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين في دعوته الى الله (عز وجل)، ولذلك نجده (ﷺ) في هجرته من مكة الى المدينة وقد كان مطارداً من المشركين قد أهدروا دمه وأغروا المجرمين منهم بالأموال الوفيرة ليأتوا برأسه حياً أو ميتاً، ومع هذا فلم ينس مهمته ورسالته، فقد لقي (ﷺ) في طريقه رجلاً يقال له بريدة بن الحصيب الأسلمي[2](رضي الله عنه) في ركب من قومه، فدعاهم إلى الإسلام فآمنوا وأسلموا' وكذلك كان (ﷺ) بالقرب من المدينة ورأى لصَّان يقال لهما: المهانان ؛ فقصدهم وعرض عليهما الإسلام، فاسلما ثم سألهما عن أسمائهما فقالا نحن المهانان، فقال: بل المكرمان، وأمرهما أن يقدما عليه في المدينة[3].

ومن هذين الخبرين يظهر اهتمامه (ﷺ) بالدعوة الى الله (عز وجل)،وهو في احلك الظروف، وذلك حينما اغتنم فرصة في طريقه ودعا الى الله (عز وجل)، وفي إسلام هذين اللصين مع ما ألفاه من حياة البطش والسلب والنهب دليل على سرعة إقبال النفوس على إتباع الحق إذا وجد من يمثله بصدق وإخلاص، وتجردت نفس السامع من الهوى المنحرف، وفي اهتمام الرسول (ﷺ) بتغيير اسمّي هذين اللصين من المهانَين الى المكْرَمَين دليل على اهتمامه (ﷺ) بسمعة المسلمين ومراعاته مشاعرهم إكراماً

---

(١) سورة يوسف، الآيات (٣٨-٤٠).

(٢) بريدة بن الحصيب بن عبد اللَّه بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدّي بن سهم ابن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصى الأسلمي، لقي النبي (ﷺ) في طريق هجرته الى المدينة، فدعاه الى الاسلام، فآمنوا وأسلموا، وقد غزا مع الرسول (ﷺ) ست عشرة غزوة وأصبح بريدة بعد ذلك من الدعاة الى الاسلام، قال ابن سعد: مات سنة ثلاث وستين ؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤١٨/١.

(٣) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٦ ؛ والتاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثاني، لأحمد بن أبي خيثمة أبو بكر (ت: ٢٧٩هـ)، تحقق: صلاح بن فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (القاهرة /١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ٢٠١/١.

لهم ورفعاً لمعنوياتهم، وإن في رفع معنوية الإنسان تقوية لشخصيته ودفعاً له إلى الإمام ليبذل كل طاقته في سبيل الخير والفلاح(١).

١٢_ أهمية العقيدة والدين في إزالة العداوة والضغائن:

إنّ العقيدة الصحيحة السليمة والدين الاسلامي العظيم لهما أهمية كبرى في إزالة العداوات والضغائن، وفي التأليف بين القلوب والأرواح، وهو دور لا يمكن لغير العقيدة الصحيحة أن تقوم به، وها قد رأينا كيف جمعت العقيدة الإسلامية بين الأوس والخزرج، وأزالت آثار معارك استمرت عقوداً من الزمن، وأغلقت ملف ثارات كثيرة في مدة قصيرة، بمجرد التمسك بها والمبايعة عليها وقد رأينا ما فعلته العقيدة في نفوس الأنصار، فاستقبلوا المهاجرين بصدور مفتوحة، وتآخوا معهم في مثالية نادرة، لا تزال مثار الدهشة ومضرب المثل، ولا توجد في الدنيا فكرة أو شعار آخر فعل مثلما فعلت عقيدة الاسلام الصافية في النفوس(٢).

ومن هنا ندرك السر في سعي الأعداء الدائب إلى إضعاف هذه العقيدة وتقليل تأثيرها في نفوس المسلمين، واندفاعهم المستمر نحو تذكية النعرات العصبية والوطنية والقومية وغيرها، وتقديمها كبديل للعقيدة الصحيحة(٣).

١٣_ فرحة المسلمين بزيارة الدعاة والعلماء لهم ولمدينتهم:

كانت فرحة المؤمنين من سكان يثرب من أنصار ومهاجرين بقدوم رسول الله (ﷺ) ووصوله إليهم سالماً فرحة أخرجت النساء من بيوتهن والولائد، وحملت الرجال على ترك أعمالهم، وكان موقف يهود المدينة موقف المشارك لسكانها في الفرحة ظاهراً، والمتألم من منافسة الزعامة الجديدة باطناً، أما فرحة المؤمنين بلقاء

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦١/٣ ؛ والسيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد ابن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ)، دار القلم، الطبعة الثامنة، (دمشق/١٤٢٧هـ)، ٤٥١/١ ؛ والهجرة النبوية، لأبي فارس، ٥٩.

(٢) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث،٢٨٨.

(٣) المرجع نفسه، ٢٨٨ ؛ والهجرة النبوية المباركة، ٤٠٥ .

رسولهم، فلا عجب فيها، وهو الذي أنقذهم من الظلمات الى النور، بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد(١).

ويفاد من استقبال المهاجرين والأنصار لرسول الله (ﷺ) مشروعية استقبال الأمراء والعلماء، عند مقدمهم بالحفاوة والإكرام، فقد حدث ذلك لرسول الله (ﷺ)، وكان هذا الإكرام وهذه الحفاوة نابعين من حب للرسول بخلاف ما نراه من استقبال الزعماء والحكام في عالمنا المعاصر، ويفاد كذلك التنافس في الخير وإكرام ذوي العلم والشرف، فقد كانت كل قبيلة تحرص أن تستضيف رسول الله (ﷺ)، وتعرض أن يكون رجاله حُراساً له، ويؤخذ من هذا إكرام العلماء والصالحين، واحترامهم وخدمتهم(٢).

١٤_ ضرورة الإخلاص، والسلامة من الأغراض الشخصية:

إنّ الإخلاص روح العظمة، وقطب مدارها، والإخلاص يرفع شأن الأعمال حتى تكون مراقي للفلاح، وهو يجعل في عزم الرجل متانة فيسير حتى يبلغ الغاية' ولولا الإخلاص يضعه الله في قلوب زاكيات لحُرم الناس من مشروعات عظيمة تقف دونها عقبات كبرى، ومن مواطن العبرة في قصة الهجرة أن الداعي إلى الإصلاح متى أوتي حكمة بالغة، وإخلاصاً نقيًّا، وعزماً صارماً؛ هَيَّأَ الله لدعوته بيئة طيّبة فتقبلها (٣).

وهكذا كان (ﷺ)، حيث لم يرد بدعوته إلا الإخلاص لله (ﷻ)، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور؛ فكان متجرداً من حظوظ النفس ورغائبها ؛ ولم يك يطلب بدعوته هذه نباهة شأن ووجاهة ؛ فإن في شرف أسرته، وبلاغة منطقه، وكرم خلقه؛ ما يكفيه لأن يحرز في قومه الزعامة لو شاء، ثم إن الهجرة كانت دليلاً على الإخلاص والتفاني في سبيل العقيدة ؛ فقد فارق المهاجرون وطنهم، ومالهم، وأهليهم، ومعارفهم ؛ إجابة لنداء الله ورسوله، وهذا درس عظيم يفيد منه المسلمون

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٧ ؛ والهجرة في القرآن الكريم، ٣٦٧.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦١/٣.

(٣) ينظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ١٩٣ ؛ والمختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ٦٦.

فائدة عظمى أن الإخلاص هو السبب الأعظم لنيل المآرب التي تعود على الأفراد والأمة بالخير(١).

١٥_ الاعتدال حال السراء والضراء:

إنّ يوم خروجه (ﷺ) من مكة مكرهاً لم يخنع، ولم يذل، ولم يفقد ثقته بربِّه، ولما فتح الله (ﷻ) عليه ما فتح، وأقرَّ عينه بعزِّ الإسلام، وظهور المسلمين ؛ لم يَطِشْ زهواً، ولم يتعاظم تيهاً ؛ فعيشته يوم كان في مكة يلاقي الأذى، ويوم أخرج منها كارهاً ؛ كعيشته يوم دخل مكة ظافراً، وكعيشته يوم أظلت رايته البلاد العربية، وأطلَّت على ممالك قيصر ناحية تبوك، وتواضعه وزهده بعد فتح مكة وغيرها كحاله يوم كان يدعو وحيداً، وسفهاء الأحلام في مكة يضحكون منه ويسخرون(٢).

فالجانب الدعوي من هذا المعنى واضح جلي ؛ حيث ان الداعية يمرُّ بأحوال ضعف، وأحوال قوة، وأحوال فقر، وأحوال غنى ؛ فعليه لزوم الاعتدال في شتى الأحوال ؛ فلا يتبطره النعماء، ولا يقَنِّطه البأساء، وكذلك الحال بالنسبة للأفراد والامة (٣).

١٦_ اليقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين:

فالذي ينظر في الهجرة بادئ الرأي يظن أن الدعوة إلى زوال واضمحلال، ولكن الهجرة في حقيقتها تعطي درساً واضحاً أن العاقبة للتقوى وللمتقين، والنبي (ﷺ) يعلِّم بسيرته المجاهدَ في سبيل الحق أن يثبت في وجه أشياع الباطل، ولا يَهَنَ في دفاعهم، وتقويم عِوَجِهم، ولا يَهُولُه أن تُقبِلَ الأيام عليهم، فيشتدَّ بأسهم، ويُجْلِبوا بخيلهم ورجالهم ؛ فقد يكون للباطل جولة، ولأشياعه صولة، أما العاقبة فإنما هي للذين صبروا، والذين هم مصلحون، ولقد هاجر (ﷺ) من مكة في سواد

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦٠/٣ ؛ ١٣٢؛ والسيرة النبوية – دروس وعبر، للدكتور مصطفى بن حسني السباعي (ت: ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة، (بيروت– لبنان / ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ٤٤.

(٢) ينظر: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ٦٧ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ١٩٣.

(٣) المرجع نفسه، ٦٧ ؛ والسيرة النبوية – دروس وعبر، ٤٦.

الليل مختفياً، وأهلها يحملون له العداوة والبغضاء، ويسعون سعيهم للوصول إلى قتله، والخلاص من دعوته، ثم دخل المدينة في بياض النهار مُتَجلِّياً قد استقبله المهاجرون والأنصار بقلوب مُلِئَت سروراً بمقدمه، وابتهاجاً بلقائه، وصاروا يتنافسون في الاحتفاء به، والقرب من مجلسه، وقد هيئوا أنفسهم لفدائه بكل ما يَعزُّ عليهم(١).

١٧_ إنّ من حفظ الله في سره وعلانيته حفظه الله (ﷻ):

ويؤخذ هذا المعنى من حال زعماء قريش عندما ائتمروا بالنبي (ﷺ) ليعتقلوه، أو يقتلوه، أو يخرجوه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾(٢)، فأجمعوا بعد تداول الرأي على أن يطلقوا سيوفهم تخوض في دمه الطاهر، فأوحى الله (ﷻ) إلى رسوله (ﷺ) ما أوحى، فحثا في وجوههم التراب، وبارح مكة من حيث لا تراه أعينهم، وهذا درس عظيم، وسُنَّةٌ ماضية ؛ في أنَّ مَنْ حفظ الله حفظه الله، والحفظُ من الله شامل، وأعظم ما في ذلك أن يُحْفَظَ الإنسان في دينه ودعوته، وهذا الحفظ – أيضاً – يشمل حفظ البدن، وليس بالضرورة أن يُعصَمَ ؛ فلا يُخلَصَ إليه البتة، فقد يصاب؛ لتُرفع درجاته، وتُقال عثراته، ولكن الشأن كل الشأن في حفظ الدين والدعوة(٣).

١٨_ إنّ النصر مع الصبر:

قد قضى (ﷺ) في سبيل دعوته في مكة ثلاثة عشر حولاً، وهو يلاقي نفوساً طاغيةً، وألسنة ساخرة، وربما لقي أيادي باطشة ؛ وكان هَيِّناً على الله (ﷻ) أن يصرف عنه الأذى جملة، ولكنها سنة الابتلاء يؤخذ بها الرسول الأكرم؛ ليستبين

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦١/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢٨٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٠).

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦١/٣ ؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٧ ؛ والدعوة قواعد وأصول، ٦٢.

صبره، ويعظم عند الله أجرُه، وليتعلم دعاة الإصلاح كيف يقتحمون الشدائد، ويصبرون على ما يلاقون من الأذى صغيراً أكان أم كبيراً [١].

١٩_ إنّ من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه:

إنّ من هدي القرآن الكريم للتي هي أقوم، هو إرشاد العباد إلى أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، قال الله تعالى عن خليله إبراهيم (عليه السلام): ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴾[٢].

إنّ المهاجرين لما تركوا ديارهم، وأهليهم، وأموالهم التي هي أحب شيء إليهم؛ فقد عوضهم الله بأن فتح عليهم الدنيا، وملَّكهم مشارقها ومغاربها[٣].

وفي هذا جانب دعوي عظيم هو أن الله (عز وجل) شكور كريم، لا يضيع أجر من أحسن عملاً؛ فمن ترك شيئاً لأجله عوضه خيراً منه، والعِوَض من الله أنواع، وأجلّ ما يُعوِّض به الإنسان أن يُرْزَقَ محبة الله (عز وجل)، وطمأنينة القلب بذكره، وقوة الإقبال عليه؛ فحري بالدعاة أن يُضحُّوا في سبيل الله (عز وجل)، وأن يقدموا محبوبات الله (عز وجل) على محبوبات نفوسهم ؛ ليفوزوا بخيري الدنيا والآخرة [٤].

٢٠_ التنبيه على عظم دور المسجد في الأمة:

إنّ أول عمل قام به النبي (صلى الله عليه وسلم) فور وصوله إلى المدينة هو بناؤه المسجد؛ لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المسلم برب العالمين، وتنقي قلبه من أدران الأرض، ولقد تمَّ بناء المسجد في حدود البساطة؛ ففراشه الرمال والحصباء، وسقفه الجريد، وأعمدته الجذوع، وربما أمطرت السماء فأوحلت أرضه، وهذا البناء المتواضع هو الذي تَرَبَّى فيه ملائكة البشر، ومؤدبو الجبابرة، وفاتحو البلاد والقلوب، وفي هذا المسجد أذِنَ الرحمنُ للنبي (صلى الله عليه وسلم) أن يؤم بالقرآن خِيْرَةَ أمته، فيتعهدهم بأدب السماء من شفق الفجر إلى غسق الليل[٥].

---

(١) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢٨٨.

(٢) سورة مريم، الآية (٤٩).

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦١/٣ ؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٦.

(٤) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ٢٧٤.

(٥) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦٠/٣.

وهذا جانب دعوي نتعلم منه إن مكانة المسجد في المجتمع المسلم تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي، فهو ساحة العبادة، وميدان العلم، ومنطلق الجهاد؛ فحري بالأمة والدعاة أن تعلم دور المسجد، وأن تَقْدُره حق قدره(١).

٢١_ الهجرة من سنن الرسل الكرام:

إنّ الهجرة في سبيل الله سنة قديمة، ولم تكن هجرة نبينا محمد (ﷺ) بدعاً في حياة الرسل لنصرة عقائدهم، وقد هاجر من وطنه ومسقط رأسه من أجل الدعوة حفاظاً عليها وإيجاد بيئة خصبة تتقبلها وتستجيب لها، وتذود عنها، فقد هاجر عدد من إخوانه من الأنبياء قبله من أوطانهم لنفس الأسباب التي دعت نبينا للهجرة (٢).

إنّ بقاء الدعوة في أرض قاحلة لا يخدمها بل يعوق مسارها ويشل حركتها، وقد يعرضها للانكماش داخل أضيق الدوائر، وقد قص علينا القرآن الكريم نماذج من هجرات الرسل وأتباعهم من الأمم الماضية لتبدو لنا في وضوح سنة من سنن الله في شأن الدعوات، يأخذ بها كل مؤمن من بعدهم إذا حيل بينه وبين إيمانه وعزته، واستخف بكيانه ووجوده واعتدى على مروءته وكرامته (٣).

٢٢_ عظم دور الشباب في نصرة الحق:

يتجلى دور الشباب فيما قام به سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عندما نام في مضجع النبي (ﷺ)، فضرب أروع الأمثلة في الشجاعة والبطولة، ومثله ما قام به عبد الله بن أبي بكر(رضي الله عنه) ؛ فقد أمره والده أن يتسمع ما تقوله قريش في الرسول (ﷺ)، وأبي بكر(رضي الله عنه)، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك من أخبار(٤).

ففي موقف عبد الله بن أبي بكر (رضي الله عنه) ما يثبت أثر الشباب في نجاح الدعوة، ونصرة الإسلام، وإذا تأملت السيرة رأيت أن أكثر الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا من الشباب الذين حملوا لواء الدعوة، واستعذبوا من أجلها الموت والعذاب، وهذا درس عظيم يبين لنا أن الشباب هم عماد الأمة، وإذا وجهوا وجهة صحيحة على نهج الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف

(١) ينظر: المختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ٦٨.

(٢) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٢٠.

(٣) ينظر: الهجرة في القرآن الكريم، ١٧٥.

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦١/٣ ؛ والسيرة النبوية – دروس وعبر، ٤٨.

الأمة، علت هِمَمَهُم، وكانوا مشاعل هدى، ومصابيح دجى، فعلى الدعاة أن يلتفوا حول الشباب وينتبهوا لهم ولدورهم الكبير في نصرة الدعوة، والنهوض بالأمة الإسلامية(١).

ويفاد من هذا الجانب الدعوي أن الأمة الإسلامية لا بُدَّ لهم أن يلتفوا حول الشباب وأن يجتمعوا على أخوة الإسلام، وعلى كتاب الله تعالى، وسنة رسوله (ﷺ)، ونهج الأسلاف الكرام، والرجوع الى العقيدة الصحيحة، وإلا أصبحت مفككة متناثرة لا يُهاب جنابها، ولا تُسمع كلمتُها(٢).

ونحن اليوم نحتاج – من معاني الهجرة النبوية – إلى ما نصلح به ما فسد من عقائد المسلمين، وإلى أن ننخلع في بيوتنا عن الآداب التي تخالف الإسلام، وأن نُعيد إلى هذه البيوت الصدق، والصراحة، والنبل، والاستقامة، والاعتدال، والتواضع، والعزة، والكرم، والتعاون على الخير، إلى غير ذلك من المعاني السامية ؛ فالبيت الإسلامي وطن بل هو دولة إسلامية، وقبل أن نبدأ في علاج الأمة يجب أن نبدأ بالأقرب فالأقرب ؛ فنبدأ في بيوتنا، فنهاجر نحن ومن فيها إلى ما يحبه الله (ﷻ)، ونبتعد عن كل ما لا يرضيه (ﷻ)، ثم نتحرى في مجتمعاتنا أنظمة الإسلام وآدابه، ونهجر كل ما خالفها مما اقتبسناه من غيرنا، وخَذَلْنا به مقاصد الإسلام، فضيَّعنا أغراضه الجوهرية(٣).

(١) ينظر: المختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ٧٣ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ٢٨٦.

(٢) ينظر: السيرة النبوية – دروس وعبر، ٤٨.

(٣) ينظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية، حوالي خمسة آلاف وتسعمائة مقال وبحث (الهجرة دروس وفوائد)، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، من دون دار نشر، من دون طبعة، (بلا / بلا سنة نشر)، ٦.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، ثم الصلاة والسلام على نبيه الذي االمصطفى وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين اهل السماحة والوفى، فبعد ان وفقني الله تعالى لإكمال هذه الدراسة المختصرة (دروس دعوية لابن قيم الجوزية في الهجرة النبوية الشريفة) يمكن ان اجمل اهم النتائج التي توصلت اليها بما يأتي:

١- إنّ ابن القيم "رحمه الله" له سيرة حسنة كوّنت شخصيته العلمية والدعوية.

٢- إنّ ابن القيم "رحمه الله" له واقع دفعه للدخول في ميدان العلم والدعوة.

٣- من الجوانب الدعوية عند ابن القيم "رحمه الله" هي: الافتاء والامامة والخطابة والتأليف.

٤- إنّ الداعية إلى الله هو كل مسلم دل على خير، أو حذر من شر، فيدخل في ذلك جميع المسلمين؛ كل على حسب علمه وفهمه، وقدرته، ومكانته، ولا يكون الداعية موفقاً ومسدداً إلا بصفات يلتزمها، وأعمال يكون بها قدوة لغيره في عمل كل خير، والتزامه بمنهج الرسول (ﷺ) في دعوته على بصيرة، ومعرفته لأحوال الناس؛ ليقدم لكل قوم ما يناسبهم، وينزلهم منازلهم، ومع ذلك لا يغيب عنه ان يسأل الله التوفيق، والسداد، والإعانة، والثبات.

٥- الاهداف الحقيقية الذي تسعى اليها الدعوة الإسلامية إلى تحقيقها في حياة الناس وهو توحيد الله (ﷻ) وعبادته سبحانه وتعالى وحده ، وعمارة الأرض ، وتحقيق مضامين الاستخلاف الشرعي.

٦- الثقة بالله تعالى والتوكل عليه والاخذ بالأسباب والعمل المتواصل من سمات الدعاة الى الله تعالى.

١١- أهمية السيرة النبوية في الدعوة الى الله تعالى، بل نحن بأمس الحاجة إلى معرفتها معرفة دقيقة، وذلك لان الواقع الذي يسود هذه الامة وكثرة المشكلات ، والتحديات التي تواجه الامة الاسلامية اصبح مريراً ، ولا مخرج لها من كل ذلك إلا باتباع الوحي الإلهي والهدي النبوي.

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع بعد القران الكريم

- ابن القيم من اثاره العلمية، لأحمد ماهر محمود البقري، دار النهضة العربية، من دون طبعة، (بيروت/١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده، للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد (ت:١٤٢٩هـ)، دار العاصمة، الطبعة الثانية، (الرياض/ ١٤٢٣هـ).
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق أبو الوليد الغساني المكي المعروف بالأزرقي (ت:٢٥٠ه) تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، من دون طبعة، (بيروت/بلا سنة نشر).
- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، (بلا/٢٠٠٢م).
- البداية والنهاية، لابي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، الدار احياء التراث العربي، الطبعة الاولى، (بلا /١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)،(صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت: ٣٦٩هـ)، دار التراث، الطبعة الثانية، (بيروت/ ١٣٨٧هـ).
- التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة – السفر الثاني، لأحمد بن أبي خيثمة أبو بكر (ت: ٢٧٩هـ)، تحقق: صلاح بن فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (القاهرة /١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

- التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤هـ)، تحقيق: د. أبو لبابة حسين دار اللواء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (الرياض/ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار – ورياض الزركليى، دار الفكر، الطبعة الأولى، (بيروت / ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م).
- جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤٠٣/١٩٨٣).
- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، (بيروت/ ١٩٨٧م).
- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، الطبعة الاولى، (دمشق /١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، للدكتور سعيد بن على بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (السعودية /١٤٢٣هـ).
- الدارس في تاريخ المدارس، لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤١٠هـ/١٩٩٠م) .
- داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب، لعبد العزيز شلبي سيد الأهل (ت: ١٤٠٢هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، (بيروت– لبنان/١٩٨٦م).
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان،

مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، (اباد- الهند/ ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بلا /١٤٠٥هـ).
- ذيل طبقات الحنابلة، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، (الرياض/ ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م).
- رجال الفكر والدعوة في الاسلام، لعلي أبو الحسن ابن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت:١٤٢٠هـ)، دار القلم، الطبعة الاولى، (الكويت / ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- الرد الوافر، لمحمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق: زهير الشتاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، (بيروت/ ١٣٩٣هـ).
- الرسالة المحمدية، للسيد سليمان الندوي الحسيني (ت: ١٣٧٣هـ)، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، (دمشق/ ١٤٢٣هـ).
- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي أبو عبد الله شمس الدين (ت:٧٤٨هـ)، دار الحديث، من دون طبعة، (القاهرة/ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، لعلي بن إبراهيم ابن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين (ت: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية،(بيروت / ١٤٢٧ه).

- السيرة النبوية – دروس وعبر، للدكتور مصطفى بن حسني السباعي (ت: ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة، (بيروت– لبنان/ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
- السِّيرةُ النّبوية السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل، لعلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة،(بيروت– لبنان/ ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م).
- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، لمحمد ابن محمد بن سويلم أبو شُهـبة (ت: ١٤٠٣هـ)، دار القلم، الطبعة الثامنة، (دمشق/١٤٢٧هـ).
- السيرة النبوية لأبن هشام ، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: ٢١٣ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا – وإبراهيم الأنباري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية، (مصر/ ١٣٧٥هـ /١٩٥٥م).
- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (بلا/١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، (دمشق– بيروت/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- شذرات اللهفان، لابن قيم الجوزية: تحقيق محمد عفيفي، مطبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤٠٦هـ).
- الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، لمرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى (ت: ١٠٣٣هـ)، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤٠٤هـ).
- الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد

عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت/ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الاولى، (القاهرة / ١٩٨٤م).
- غريب الحديث، لحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي ، وخرج أحاديثه: عبدالقيوم عبد رب النبي دار الفكر، من دون الطبعة، (بلا/ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- فتوح البلدان، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت: ٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال، من دون طبعة، (بيروت/١٩٨٨م).
- فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، (بيروت/١٩٧٣م).
- الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، (بيروت/١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن علي المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى (بيروت – لبنان / ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- في ظلال السيرة النبوية – الهجرة النبوية، للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الثانية، (عمان – الأردن/١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- المختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، لعبد العزيز بن محمد ابن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقيّ المولد، ثم المصري، عز الدين (ت: ٧٦٧هـ)، تحقيق: سامي مكي العاني، دار البشير، الطبعة الأولى، (عمان/ ١٩٩٣م).

- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤١١ه/١٩٩٠م).
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة- دار التراث، من دون طبعة، (بلا/ بلا سنة نشر) .
- معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:٦٢٦هـ)، مطبعة دار صادر، الطبعة الثانية، (بيروت/١٩٩٥م).
- معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، لعاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي (ت:١٤٣١هـ)، دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (مكة المكرمة/١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت:٤٨٧هـ)، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، (بيروت/ ١٤٠٣هـ).
- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، لمحمود بن أحمد بن موسى ابن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى أبو محمد بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت – لبنان /١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).
- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ﷺ)، لأحمد إبراهيم الشريف، مطبعة دار الفكر العربي، من دون طبعة، (بلا/ بلا سنة نشر).
- من أعلام المجددين، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار المؤيد، الطبعة الأولى، (بلا/ ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد بدران (ت: ١٣٤٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، (بيروت/ ١٩٨٥م).

- موسوعة البحوث والمقالات العلمية، حوالي خمسة آلاف وتسعمائة مقال وبحث (الهجرة دروس وفوائد)، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، من دون دار نشر، من دون طبعة، (بلا / بلا سنة نشر).
- الهجرة النبوية – دراسة وتحليل، لمحمد السيد الوكيل، مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية عشر، (المدينة المنورة/١٤٠٠هـ).
- الهجرة النبوية المباركة، للدكتور عبد الرحمن البر، دار الكلمة ، الطبعة الأولى، (المنصورة- مصر/١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- الهجرة في القرآن الكريم، لأحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، (الرياض/١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ٣٦٤.
- الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، من دون طبعة، (بيروت/١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).